طبيعة النظام الرأسمالي

يعرف النظام الرأسمالي ، تبسيطا ، بأنه نظام الحد الاقصى من الارباح . وسعيا وراء هذا الهدف يخوض الرأسماليون صراعا ضاريا لا رحمة فيه . وبفعل هذا الصراع يتطور النظام الرأسمالي من المنافسة الحرة الى الاحتكار ، الى رأسمالية الدولة الاحتكارية وما يرافق هذا من نشوء الاستعمار ، وينقلب الشعار الذي استلهت به الرأسمالية عهدها الزاهر من Laissez-Faire دعه يعمل ، الى Laissez-Mourir دعه يموت .

يتميز النظام الرأسمالي بفوضى الانتاج وغياب البرمجة والتخطيط ، الامر الذي يولد أزمات فائض انتاج بشكل دوري . اذ طالما بقي الطابع الاجتماعي للانتاج نقيضا للتملك الفردي لوسائل الانتاج في النظام الرأسمالي ، فان أزمات الانتاج وما يترتب عليها من تدمير للقوى المنتجة تبقى ملازمة للنظام كجزء من طبيعته . ان القوانين في الرأسمالية تعمل وفق قوانين الطبيعة العمياء المدمرة والخارجة عن ارادة الانسان .

وتحاول الرأسمالية التخفيف من آثار هذه الازمات او اجراء تباعد بين فترات وقوعها ، فتلجأ الى توجيه الاقتصاد وجهة عسكرية بغية تنشيط الانتاج وامتصاص الفائض منه . فالرأسمالي ، بتملكه وسائل انتاج الخيرات المادية ، لا يقوم بتلبية حاجات الناس من وجهة نظر رئيس جمعية خيرية ، وانما لان هذا يتيح له فرصة تحقيق ارباحه . فاذا ما اكتشف ان صنفا اخر من المنتوج ، مدفعا او دبابة او حتى أسلحة جرثومية ، يحقق له الشيء نفسه وبمقاييس أعلى ، فانه سرعان ما يحول خط انتاجه في هذا الاتجاه . ويتحول جزء من الاحتكارات الى الانتاج الحربي كوسيلة لتنشيط الحياة الاقتصادية التي دب بها الركود ، ومما يوفره هذا النمط من الانتاج من وتائر أعلى في فائض القيمة .

وخلال مرحلة زمنية قد تقصر او تطول ، يتخيل النظام الرأسمالي انه وجد في التسلح بلسمه الشافي ، ومن أجل تبرير هذا التوجه يفتعل عداوات خارجية ويؤجج روح العداء القومي ويكبح الصراعات الداخلية ويمتص مداخيل الشغيلة بشكل ضرائب متزايدة للانفاق العسكري . ويتولد عن هذا جو هستيري يغري بالتدخل الاستعماري مما يوتر الاجواء الدولية ويخلق المناخ الصحي الذي تتنفس فيه الرأسمالية بشهيق أعمق .

ان الروح العدوانية للرأسمالية جزء من طبيعتها ، وهذا يطبعها ، خاصة في المراحل العليا من تطورها ، بطابع رجعي وقمعي في الداخل والخارج كمعيقة لتطور القوى المنتجة وتقدم الشعوب . وفي مجال العلم والثقافة تقف الرأسمالية موقفا مغايرا لذاك الذي وقفته في بدء نشأتها عندما كان العلم والثقافة يخدمان اهدافها في وجه النظام الاقطاعي الآيل للسقوط . وليس بودنا الاحاطة بكل جوانب الرأسمالية وافرازاتها بقدر ما يهمنا الوصول الى اخطر ما تجد الرأسمالية نفسها أسيرة له بحكم قوانين تطورها ، وهو شهوة العدوان .

فاذا ضربنا صفحا عن الحروب التي كانت تشنها الدول الرأسمالية ضد بعضها من أجل اقتسام اسواق العالم وبسط سيطرتها عليها ، ووقفنا أمام ردود الفعل التي انتابتها من جراء قيام طراز جديد من الدول خارج اطار رأس المال ، وهو الحدث الذي ولد مقولة التعايش السلمي (موضوع بحثنا) ، لوجدنا ان الرد على أول مرسوم أصدرته السلطة السوفياتية في اليوم الاول من قيامها ، وهو مرسوم السلام ، كان التدخل المسلح بأربع عشرة دولة رأسمالية لخنق المولود في مهده .